حول مصطلح الإنسان في القرآن

٢

ماذا على الإنسان كما يريد القرآن

بقلم الدكتور: محمد أحمد العزب

ويضع القران الكريم مصطلح (الانسان) موضعه الطبيعي من حركة الكون والحياة ، فهو سيد الأشياء لانه خليفة الله في الأرض ، وهو متمرد لانه مناط المعرفة ، وهو هش لانه مخلوق من عناصر الهشاشة ، وهو ملتزم لانه حر ومسؤول .

ومادام هذا هو الانسان في جوهره الحقيقي ، مترددا بين السيادة والأهلية والضعف والالتزام ، بكل ما تحمل هذه الجوانب المختلفة من تناغم وتضاد ، فان القران الكريم لم يتركه نهبا لرياح التناقض ، ولكنه ملأ وعيه الانساني بوصايا الحب وحكمة التفكير .

وتتصل وصايا الحب في القران الكريم بمستويين متقابلين : مستوى حب الوالدية النوعية وتقديم الولاء الكامل لهذا الحب ، ومستوى الارتفاع فوق هذا الحب وتخطيه اذا تعارض مع الولاء الكامل لقضية التوحيد .. لان الوالدية في ابلغ صورها ـ حنانا ورحمة ـ مجرد وعاء لحمي يمنح ويستوعب نطفة في قسمة عاطفية مشتركة بين متعاطفين .. ولكن الخالقية هي المصدر الأول الذي يفيض ببلاغة الخلق وبلاغة التكوين .. فاذا قام تعارض ما بين الوالدية والخالقية ، فان الانحياز الى الخالقية يصبح حتمية كونية واعية تصدر عن حركة الذات السوية المخلوقة له بلا جدال :

(ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) العنكبوت : ٨

وليس انتفاء الطاعة هنا مدخلا الى انتفاء الحب والبر ، فان الوالدية مطاعة في كل شيء ، إلا اذا تخطى هذا الشيء دائرة المعقول الى دوائر اللامعقول ، بمعنى ان من حق الولد ان يرفض طاعة الوالدين في شركهما بالله ، لان خالق الولد والوالدين اقمن بالطاعة ممن سواه حتى ولو كان هذا السوى هو الاب اللاصق والأم الرائمة ، وهذا منطق صبيغي يتساوق مع قانون الحكمة وصواب التقدير .

ولكنه حتى في اطار مروق الوالدية كما نرى ، يطالب القران الكريم الولد ببذل الطاعة الحياتية والمعروف المادي والنفسي لوالديه ، لقاء ما حملت الأم وعانى الاب في شعاب الكدح المرير ، وإن كان قد خص الأمومة بشيء من البيان لدورها ، نظرا الى منطق الضعف الذي هو بها الصق منه بالوالد الرجل الصبور:

(ووصينا الانسان بوالديه ، حملته امه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين ، ان اشكر لي ولوالديك ، الي المصير ، وإن جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من اناب الي ، ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون) لقمان : ١٤ ـ ١٥ .

وواضح هنا ان المقصود بالشرك هو صاحب هذا التوجيه العاطف الرؤوم، ومع ذلك فان رحمته سابقة على بطشه القادر ، ان الشرك هنا ليس بسوى الله .. (وان جاهداك لتشرك بي) (وان جاهداك على ان تشرك بي) ..ومع ذلك فهو يعمق في خلد الانسان الابن مصاحبتهما في الدنيا معروفا ، وهذه قمة العفو في قمة الكنود .. يؤكد ذلك ان الشرك هنا ليس قضية حاصرة مقصورة على الذات المشركة ، ولكنه شرك متحرك عنيد يريد ان ينقل ظلامه الى الآخرين ، اي ان الوالدين لا يريدان ان يشركا وحدهما وإنما يجران ابنهما الى مناطق الشرك ، وكان مقتضى العدل ان ينسحب البطش المرصود لقضية الاشراك على كل المواقف والشخوص ، إلا ان الذي يضع تاصيل القضايا هنا ليس بشرا خاضعا لمنطق الفعل ورد الفعل ، وليس مخلوقا محكوما بغريزة الانتقام ، وإنما هو خالق الكون والحياة والانسان ، وهو من هذا المنطلق يعامل مفردات خلقه بمنطق الحب لا بمنطق البطش ، وبقانون العفو وليس بقانون الثار ، وبمنهج الرب وليس بمنهج الادميين .

ومن هنا تكون وصايا الحب في القران الكريم نزوعا الى دفع (الانسان) في طريق الدماثة والانتماء ، وفتح حوار مستمر مع الأجيال الجانحة املا في

http://www.sheikhali-waqfia.org.qa/App_Files/Ar/Megala/Big/95-1.jpg 21/05/2011